موجز في التّفسير

سورة الانفطار

سليمان بيضون

*** السورة الثانية والثمانون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «النّازعات».**

*** سُمّيت بـ «الانفطار» لابتدائها بعد البسملة بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾.**

*** الانفطار، بمعنى الانشقاق، وقد ورد التعبيران في آيات أُخَر؛ كالآية الأولى من سورة الانشقاق ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، والآية الثامنة عشرة من سورة المزّمل ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ..﴾.**

*** آياتها تسع عشرة، وهي مكيّة، وفي الحديث النبويّ الشريف أنّ مَن قرأها أصلح اللهُ له شأنَه يوم القيامة.**

*** ما يلي موجز في التعريف بهذه السورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين)، و(الميزان)، و(الأمثل).**

«شعائر»

قال العلامة السيد محمّد حسين الطباطبائي في (تفسير الميزان): «تحدّد السورة يومَ القيامة ببعض أشراطه الملازمة له المتّصلة به، وتصفه بما يقع فيه:

- ذِكرُ الإنسان ما قدّم وما أخّر من أعماله الحسنة والسيئة؛ على أنّها محفوظة عليه بواسطة حفَظة الملائكة الموكلين عليه.

- وجزاؤه بعمله؛ إن كان بَرّاً فبنعيم، وإن كان فاجراً مكذّباً بيوم الدين فبجحيمٍ يصلاها مخلّداً فيها.

- ثمّ تستأنف السورة وصفَ يوم القيامة، بأنّه: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾..».

فضيلة قراءة سورة الانفطار

* عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنه قال: «**مَن قرأ هذه السورة - سورة الانفطار - أعاذَه اللهُ أن يفضحَه حين يَنشر صَحيفتَه، وستَرَ عَورتَه، وأصلَحَ له شأنَه يومَ القيامة**».

* عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**مَن قرأ هاتين السورتَين: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وجعلهما نُصب عينه في صلاةِ الفريضةِ والنافلةِ، لم يحجبْه من الله حجابٌ، ولم يَحجزه من الله حاجزٌ، ولم يَزل يَنظر إلى الله ويَنظر اللهُ إليه، حتّى يفرغ من حساب الناس**».

وقد ورد في خواصّ هذه السورة المباركة، أنّ قراءتها على العين يقوّي نظرها، ويُزيل الرَّمَد والغشاوة، بقدرة الله تعالى.

تفسير آيات من السورة المباركة

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾. الآية:٦

* روي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، لمّا تلا هذه الآية، قال: «**غرّه جهلُه**».

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال عند تلاوتها: «..**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، ومَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، ومَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟**

أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟

فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ وجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ؛ وهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟!

وكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ، فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، ومِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ..».

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾. الآية:٨

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، أنّه قال لرجل: «.. **إنّ النّطفةَ إذا استَقَرّت في الرَّحِمِ أحضرَ اللهُ كلَّ نسَبٍ بينها وبين آدمَ عليه السلام، أمَا قرأتَ هذه الآية: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾، أيْ فيما بَينكَ وبينَ آدم**».

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾. الآيات:١٠-١٢

* دخل رجلٌ على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقال: أخبرني عن العبد كم معه من ملَك؟

فقال صلّى الله عليه وآله: «**ملَكٌ على يمينِكَ على حسناتِكَ، وواحِدٌ على الشّمال، فإذا عملتَ حَسَنةً كَتبَ عشراً، وإذا عملتَ سيّئة قال الَّذي على الشّمال للَّذي على اليمين: أكتب؟**

قال: لعلَّه يَستغفرُ اللهَ ويتوب.

فإذا قال ثلاثاً. قال: نعم، اكتُب أراحَنا اللهُ منه فبِئسَ القرين، وما أقلّ مراقبته للهِ عزّ وجلّ وأقلّ استحياءَه منّا! يقول اللهُ عزّ وجلّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾. (ق:١٨)

وملَكان بين يدَيك ومِن خلفِك.

وملَكٌ قابضٌ على ناصِيَتِك، فإذا تواضعتَ للهِ رفَعك، وإذا تَجبّرتَ فَضَحَك.

وملكان على شفتَيكَ ليس يحفظان عليكَ إلَّا الصّلاة على محمّدٍ وآلِه.

وملَكٌ قائمٌ على فِيكَ لا يَدَعُ أن تدبّ الحيّة في فِيك.

وملكان على عينَيك.

فهذه عشرةُ أملاكٍ على كلّ آدميّ..».

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنباً أُجِّل من غَدْوةٍ إلى اللّيل، فإنِ استَغفرَ اللهَ لم يُكتَب عليه**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾. الآيتان:١٣-١٤

* عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، قال: «**كلُّ ما في كتابِ الله عزَّ وجلَّ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾؛ فوَاللهِ ما أرادَ به إلّا عليّ بن أبي طالب، وفاطمة، وأنا، والحسين، لأنّا نحنُ أبرارٌ بآبائنا وأمّهاتنا، وقلوبُنا علَت بالطاعاتِ والبِرّ، وتبرَّأت من الدُّنيا وحُبّها، وأطَعنا اللهَ في جميعِ فرائضِه، وآمنّا بوحدانيّتِه، وصدّقنا بِرسولِه**».

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء رجلٌ إلى أبي ذرّ، فقال له: يا أبا ذرّ، كيف ترى حالَنا عند الله؟**

قال: اعرضوا أعمالَكم على الكتاب، إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾.

فقال الرجل: فأين رحمة الله؟

قال: ﴿.. إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾». (الأعراف:٥٦)

قال رسول الله ﷺ:

مَن قرأ هذه السورةَ

أعاذَه اللهُ

أن يفضحَه

حين يَنشرُ صَحيفتَه،

وسَترَ عَورتَه،

وأصلَحَ له شأنَه

يومَ القيامة

الإصغاء بمَسامع القلب

آداب تلاوة القرآن الكريم

الشهيد الثاني زين الدين الجُبعي العاملي قدس سره

تتضمّن هذه المقالة جملة من الآداب القلبية لتلاوة القرآن الكريم، اختصرناها نقلاً عن رسالة (التنبيهات العَليّة على وظائف الصلاة القلبية)، للشهيد الثاني، زين الدين الجُبَعي العاملي (٩١١ — ٩٦٥ هجرية)، وقد أوردها رضوان الله عليه في سياق حديثه عن تعقيبات الصلاة.

«... وإن عقّبتَ بشيءٍ من القرآن، فينبغي أن تتدبّر بعضَ وظائفه لتقومَ بشروطه، وتمتثل مرسوم حدوده، كما ينبغي ذلك لكلّ قارئ. وما ورد في ثواب قراءة القرآن والحثّ عليه يخرج ذكرُه عن موضوع الرّسالة. فلنذكر مهمّ وظائفه ملخّصاً، وهي أمور:

الأوّل: تركُ حديث النّفْس

أوّلُ وظائف تلاوة كتاب الله تعالى هو حضورُ القلب وتركُ حديث النّفْس. قِيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ..﴾، أي بجدّ واجتهاد. وأخذُه بالجدّ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المُشغِلات والهموم عنه.

الثاني: التدبّر

وهو طَورٌ (حالة) وراء حضور القلب، فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر في غير القرآن، ولكنّه يقتصر على سُماع القرآن وهو لا يتدبّره. والمقصود من التّلاوة التدبّر.

قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾.

وقال تعالى: ﴿..وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾، لأنّ الترتيل يُمكّن الإنسان من تدبُّر الباطن.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لا خيرَ في عبادةٍ لا فقهَ فيها، ولا خيرَ في قراءةٍ لا تدبُّر فيها**». وإذا لم يُمكن التدبّر إلا بالترديد، فليُردّد.

الثالث: التّفهُّم

وهو أن يستوضح من كلّ آيةٍ ما يَليق بها، إذ القرآن يشتملُ على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله، وأحوال أنبيائه والمكذّبين لهم، وأحوال ملائكته، وذِكر أوامره وزواجره، وذكر الجنّة والنار، والوعد والوعيد. فليتأمّل معاني هذه الأسماء والصّفات، لتنكشف له أسرارها...

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو شئتُ لَأَوْقَرْتُ سَبعين بَعيراً من تَفسير فاتحةِ الكتاب**».

الرابع: التخلّي عن موانع الفهم

التخلّي عن موانع الفهم؛ فإنّ أكثر الناس مُنعوا من فهم القرآن لأسباب وحُجب أسدلها الشيطان على قلوبهم، فحُجِبت عن عجائب أسراره.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لولا أنّ الشياطين يَحومون على قلوب بني آدم لنَظروا إلى الملكوت**».... ومعاني القران الكريم وأسراره من جملة الملكوت.

والحُجب الموانع، منها:

١) الاشتغال بتحقيق الحروف، وإخراجها من مخارجها والتشدّق بها من غير ملاحظة المعنى.

٢) أن يكون مبتلىً من الدنيا بهوىً مُطاع، فإنّ ذلك سبب

حظُّ اللسان
تصحيح الحروف
بالتّرتيل
وحظّ العقل
تفسيرُ المعاني
وحظّ القلب
الاتّعاظ والتأثّر

لظُلمة القلب، كالصّدَأ على المرآة، فيمنع جلية الحقّ أن يتجلّى فيه، وهو أعظمُ حجاب للقلب، وبه حُجِب الأكثرون، وكلّما كانت الشهوات أكثر تراكماً على القلب، كان البُعد عن أسرار الله تعالى أعظم.

الخامس: تخصيصُ النفس بالخطاب

أن يخصّص نفسه بكلّ خطاب في القرآن؛ من أمر ونهي، أو وعد ووعيد، ويقدِّر أنه هو المقصود.

وكذلك إنْ سمع قصص الأولين والأنبياء عليهم السلام، وعلم أن مجرّد القصّة غير مقصود، وإنما المقصود الاعتبار، ولا يعتقد أن كلّ خطابٍ خاصٌّ في القرآن أراد به الخصوص، فإن القرآن وسائر الخطابات الشرعية واردة على طريقة «إيّاك أعني واسمعي يا جاره»، وهي كلُّها نور وهدى ورحمة للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى بشكر نعمة الكتاب، فقال: ﴿.. وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ..﴾.

وإذا قدّر أنه المقصود لم يتّخذ دراسة القرآن عملاً، بل قراءةً كقراءة العبد كتابَ مولاه الذي كَتبَه إليه، ليتدبّره ويعمل بمقتضاه.

السادس: التأثّر

وهو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهمٍ حالٌ ووَجْدٌ يتّصفُ به عندما يوجّه نفسه في كلّ حال إلى الجهة التي فهمَها؛ من خوف، أو حزن، أو رجاء، أو غيره، فيستعدّ بذلك وينفعل، ويحصل له التأثّر والخشية.

ومهما قَوِيت معرفتُه كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإنّ التضيّق غالبٌ على العارفين، فلا يرى ذكرَ المغفرة والرّحمة إلّا مقروناً بشروطٍ يقصر العارفُ عن نيلِها، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾، فإنّه عزّ وجلّ قَرَنَ المغفرة بهذه الشروط الأربعة.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾، إلى آخر السورة، وذكر فيها أربعة شروط.

وحيث أوجزَ واختصرَ ذكر شرطاً واحداً جامعاً للشرايط فقال تعالى: ﴿.. إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، إذ كان الإحسان جامعاً لكلّ الشرايط.

وتأثُّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المَتلوّة:

- فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله.
- وعند الوعد يستبشر فرحاً برحمة الله.
- وعند ذكر الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله.
- وعند ذكرِ الكفّار في حقّ الله ما يمتنعُ عليه كالصاحبة والولد، يَغُضُّ صوته، ويَنكسر في باطنه حياءً من قُبح أفعالهم، ويكبّر الله ويقدّسه عمّا يقول الظالمون.
- وعند ذِكر الجنّة ينبعث بباطنه شوقاً إليها.
- وعند ذكر النار ترتعد فرائصُه خوفاً منها.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إقرأوا القرآنَ ما ائتلفَت عليه قلوبُكم، ولانت عليه جلودُكم، فإذا اختلفتُم فلستم تَقْرَؤونَه**».

ورُوي أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله ليعلّمه القرآن، فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، فقال: يكفيني هذا وانصرف.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**انصرفَ الرّجلُ وهو فقيه**».

وأمّا التّالي باللّسان، المعرِضُ عن العمل، فجديرٌ أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾.

وإنّما حظُّ اللسان تصحيح الحروف بالتّرتيل، وحظّ العقل تفسير المعاني، وحظّ القلب الاتّعاظ والتأثّر بالانزجار والائتمار.

السابع: الترقّي

وهو أن يوجّه قلبَه وعقله إلى القبلة الحقيقية، فيستمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه. ودرجاتُ القراءة ثلاثة:

* **أدناها**: أن يقدّر العبد كأنّه يقرأ على الله عزّ وجلّ، واقفاً بين يديه، وهو ناظرٌ إليه ومستمعٌ منه، فيكون حاله عند هذا التقدير؛ السؤالُ والتضرّعُ والابتهال.

* **والثانية**: أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه وتعالى يُخاطبه بألطافه، ويُناجيه بإنعامه وإحسانه، وهو في مقام الحياء والتعظيم لمنن الله والإصغاء إليه، والفهم منه.

* **الثالثة**: أن يرى في كلام المتكلّم وفي الكلمات الصّفات، ولا ينظر إلى قلبِه، ولا إلى قراءته، ولا إلى التعلّق بالإنعام من حيث هو مُنعَمٌ عليه، بل يقتصر الهمُّ على المتكلِّم، ويُوقف فكرَه عليه، ويستغرق في مشاهدته، وهذه درجة المقرّبين، وعنها أخبر جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام بقوله: «**لقد تجلّى اللهُ لخَلْقِه في كلامه ولكنّهم لا يُبصِرون**».

الثامن: التبرّي

والمُراد به أن يتبرّأ مِن حوله وقوّته، فلا يلتفت إلى نفسه بعين الرضا والتزكية:

- فإذا تلا آيات الوعد ومَدْحِ الصالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار، وشهد فيها الموقنين والصدّيقين، ويتشوّق إلى أن يُلحقه الله بهم.

- وإذا تلا آيات المَقت والذمّ للمقصّرين شهدَ نفسه هناك، وقدّر أنّه المخاطَب خوفاً وإشفاقاً.

وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتّقين بقوله: «**وإذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويفٌ أصغَوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفيرَ جهنّم وشهيقَها في أصول آذانهم..**».

ومَن رأى نفسه بصورةِ التقصير في القراءة كان ذلك سببَ قربِه، ومَن شاهد نفسه بعين الرضا فهو محجوبٌ بنفسه.

فهذه نبذةٌ من وظائف القراءة وأسرارها، وفّقنا الله لتلقّي الأسرار، وألحقنا بعباده الأبرار».

الإمام الصادق عليه السلام:

«لقد تجلّى اللهُ لخَلْقِه في كلامه ولكنّهم لا يُبصِرون»

كلّما كانت الشهوات أكثر تراكماً على القلب كان البُعد عن أسرار الله تعالى أعظم